

أنا وأنت على الطريق لون السجون في سويسرا وردي

لفت نظري يا سيدتي عنوان خبر ورد في الصحيفة العربية يقول: لون السجون في سويسرا وردي... تعالي معي لنستمع إلى ما جاء فيه لما فيه من ظرافة وطرافة وفائدة لي ولك وللعائلة العربية وللمجتمع العربي برمته. يقول الخبر: اعتمدت مصلحة السجون في سويسرا نظاما جديدا يتعلق بلون الجدران وأصدرت قرارا بدهنها باللون الوردي استنادا إلى آراء استشاريين في علم النفس نصحوا بهذا اللون لما يحمله من تأثير إيجابي على حالة الإنسان النفسية . ولم يقتصر ذلك على السجون فحسب ، بل قررت الشركة السويسرية أيضا دهن زنانات الحجز المؤقت باللون الوردي ، فلاحظت أن الموقوفين المعروفين بعدوانيتهم أصبحوا أكثر هدوءا . حتى إن بعضهم كان يغط في سبات عميق. ويصف علماء النفس اللون الوردي بأنه اللون الذي يرمز إلى السعادة الروحية. ويصنف اللون الوردي ضمن فئة الألوان التي توحى بالبرقة والضعف والأحاسيس المرهفة، ولذلك يوصف بأنه لون البنات. أما في الثقافة الروسية فكان اللون الوردي يرمز دائما إلى التفاؤل والأمل. والجدير بالذكر أن قوانين العديد من سجون العالم تبدو مثيرة للاهتمام الذي لا يلبث أن يتحوّل إلى الإعجاب. فعلى سبيل المثال ثمة قانون تعمل به السجون الفيدرالية البرازيلية، يسمح بتقليص مدة الحكم لأربعة أيام مقابل قراءة كتاب واحد. وإن كان ذلك بشرط ألا يتجاوز مجموع هذه الأيام شهرا ونصف في العام. وسعيا من السجناء للتأكيد على أنهم قرأوا الكتب، يبدي هؤلاء استعدادهم للخضوع إلى اختبار إنشاء، يجيبون فيه على أسئلة ويكتبون ملخصا للكتب التي قرأوها. إلى هنا ينتهي الخبر الطريف هذا.

وهكذا يحاولون يا سيدتي ومن خلال الخبر الذي سمعناه عن السجون في سويسرا وكيفية طلاء الجدران باللون الوردي، يحاولون إعادة تأهيل حتى المجرمين أو المرتكبين لأعمال تُخلُّ بالمجتمع وبقِيَمه وقوانينه عن طريق تأمين الجو المناسب لهم والبيئة المواتية التي تساعد على الهدوء وإعادة النظر من جديد بحياتهم وسلوكهم وتصرفاتهم. أليست هذه فكرة حكيمة؟ أليس هذا تصرفاً جديراً بالمدح حقاً؟ ثم إن هذا الخبر يبين لنا أن المسؤولين في السجون سواء كانوا في سويسرا أو في البرازيل لم يفقدوا أملهم من هؤلاء السجناء بل وفروا لهم الفرص السانحة لكي تتحسن نفسياتهم وكذا أفكارهم التي بالتالي تؤثر على سلوكياتهم فتصبح أكثر إيجابية وأكثر تعاوناً. ترى هل فكرت بهذا الموضوع يا سيدتي؟ إذا كان لديك ابن عاق مثلاً؟ أو ابنة عنيدة؟ هل تمنحنيهم أنت فرصة أخرى لكي يتعلّموا الأفضل ويعودوا إلى رشدهم وسلوكهم السوي؟ إن احترام الإنسان كفرد ومهما كان وكائناً من كان، هو المنطلق الأساس لهذه المعاملة

يا سيدتي. فهل ترانا نمح أولادنا، عائلتنا، أقربانا، مجتمعنا ككل، هذا الحق ؟ فنقوم بمنح الفرد فرصة جديدة للرجوع إلى السلوك الصحيح، ونؤمّن له العوامل التي تساعد على فعل ذلك؟

إذا كان على المجتمع أن يحرص على احترام الفرد و حقوقه، وإعطائه قيمته، فكم بالحري الله خالقنا يا سيدتي؟ أجل فالله الخالق هو إله الفرص الجديدة، ليس لكي تتحسن أخلاقنا، وكذا سلوكنا، كلاً، بل لكي يستعيد الإنسان علاقته بالله، فيخلقنا من جديد وتصبح لديه شركة حية معه تعالى. يقول الوحي المقدس عن هذا الموضوع قصة مثل قدمه الرب يسوع المسيح فتحدث عن رجل له ابنان. قال أصغرهما لأبيه بأن يعطيه نصيبه من المال. فقسم الأب لهما معيشته. فأخذ المال وذهب إلى كورة بعيدة وهناك بذره كله بعيش مسرف . وابتدأ يحتاج. وبعد أن تركه الأصدقاء والخلان لم يبقَ أمامه إلا أن يذهب ويعمل عند راعي خنازير. وكان يشتهي ان يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله ولم يستطع. عندها عاد إلى رشه وندم على فعلته ، وقال في نفسه: كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً. أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابنا اجعلني كأحد أجراك . ولما عاد إلى بيته رآه أبوه من بعيد فتحنن وركض إليه واستقبله بين أحضانه والدموع تسيل من عينيه. أما الابن فركع عند قدميه طالبا منه الغفران ومعلنا لأبيه التوبة الحقيقية. للحال قبله أبوه فرحاً وأعادته إلى البيت وعمل حفلاً كبيراً بمناسبة رجوعه وكان لسان حاله: ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد. وابتدأ الجميع يفرحون معه.

نعم يا سيدتي، هذا المثل يبيّن لنا كيف أن الأب ومهما ضلّ ابنه أو ابتعد عنه، فإنه يفتح ذراعيه له حين يراه عائداً إليه تائباً ونادماً على ضلاله. وهذ صورة كيف أن الله الآب هو فاتح ذراعيه يقبل كل من يأتي إليه تائباً ونادماً عن خطاياها لكي يمنحه حياة جديدة ويعيد له الشركة والعلاقة الحية من جديد. هذا هو إله الفرص الثانية. يمنح كل من يأتي إليه باختياره وكامل إرادته ومؤمناً بعمل الفادي المسيح من أجله على الصليب، غفرانا أكيدا وخلصاً كاملاً، وحياة أبدية في دار النعيم. فهل في هذا ما يفرحنا يا سيدتي؟ بالطبع نعم. قال الرب يسوع المسيح: "أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي". نعم كل من يأتي إلى الفادي المسيح مؤمناً بعمله من أجله على الصليب، يصبح من عائلة بيت الله المقدسة. لقد منحنا الله حق الاختيار، فهل نأتي إليه مؤمنين بالفادي المسيح لنصبح من أولاده الحقيقيين؟ وعندها يخلقنا من جديد قلباً وقالبا. ولن يقتصر إعادة التأهيل على مظهرنا الخارجي وسلوكنا بل على قلوبنا من الداخل. فهل تؤمنين به يا سيدتي؟